سِلْسِلَة «أَحْلى المُغامَراتِ العالمِيَّةِ»

النَّجْمَةُ البَيْضاءُ



سِلْسِلَة «أَحْلى المُغامَراتِ العالمِيَّةِ»

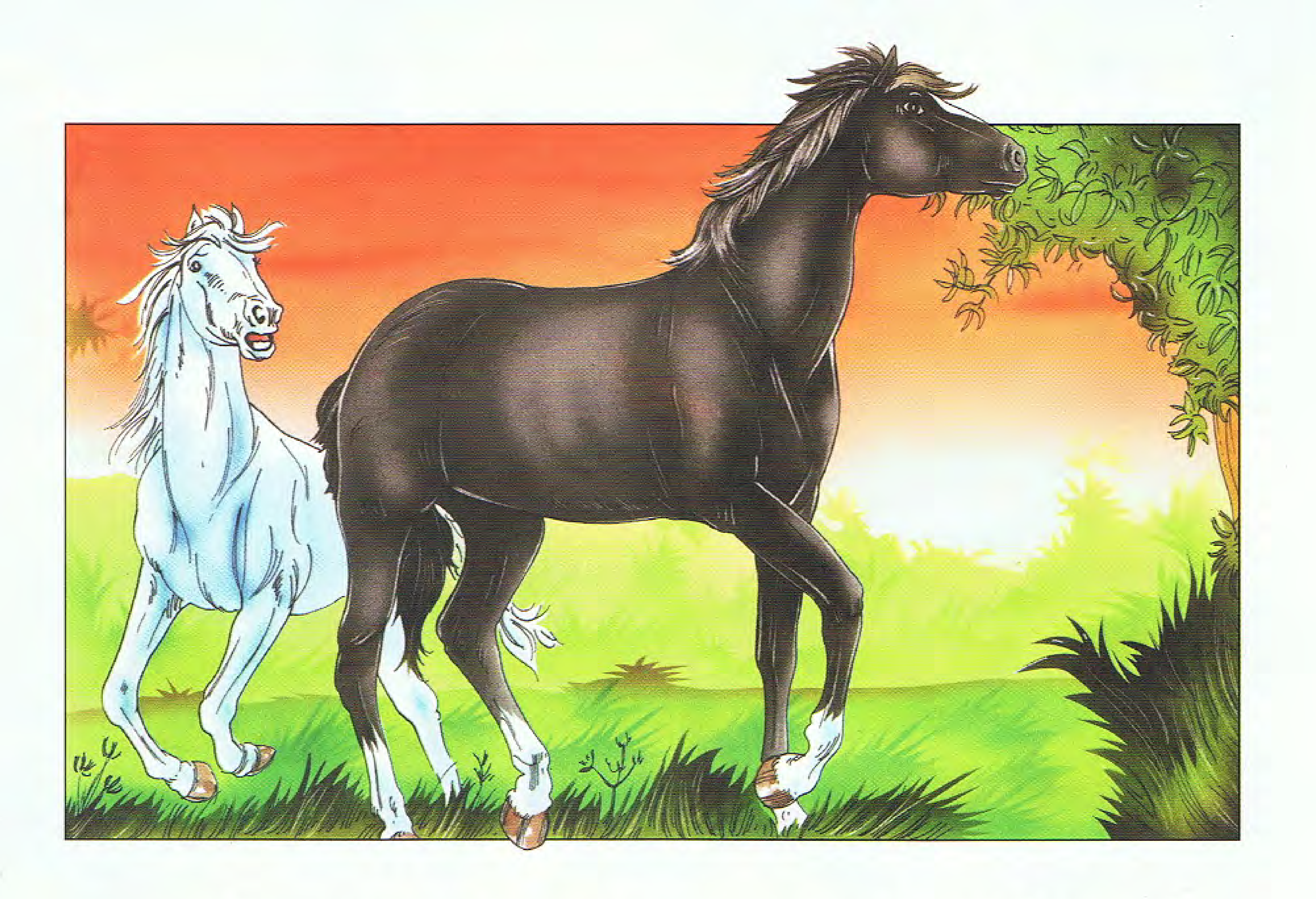
النَّجْمَةُ البَيْضاءُ

إعداد الدُّكتور جوزيف أبو نَجم





الرّسوم ولوحة الغلاف: سليم صوايا



أَنا حِصانٌ أَصيلٌ، وُلِدْتُ حَوالى سَنَةِ ١٩٠٠ في عائِلَةٍ عَريقَةٍ. وَعَلى الرَّغْمِ مِنْ بَياضِ أُمّي الناصِعِ، فَقَدْ جِئْتُ أَسْوَدَ اللَّوْنِ، فاحِمًا، ما عَدا عَلامَةً بَيْضاءَ تَعْلو جَبيني، هِيَ كُلُّ ما حَمَلْتُهُ مِنْ لَوْنِ أُمّي. وَقَدْ أَطْلَقوا عَلَيَّ ٱسْمَ «النَّجْمَةِ البَيْضاءِ»! مَرَّتْ طُفولَتي رائِعَةً، كَالْحُلُمِ، إِذِ ٱسْتَطَعْتُ أَنْ أَجْرِيَ طَليقًا، إِلى جانِبِ أُمّي، وَلِأَنّي كَبِرْتُ عَلى يَدِ أَفْضَلِ مُزارِعٍ في الْعالَمِ، هُوَ السَّيِّدُ غراي!

قامَ السَّيِّدُ غراي بِتَدْريبي أَحْسَنَ تَدْريبٍ؛ فَعَلَّمَني أَنْ أَتَحَمَّلَ اللِّجامَ، وَأَجُرَّ عَرَبَةً، وَكَذٰلِكَ أَنْ أَحْمِلَ شَخْصًا على ظَهْري. وَلا أُخْفيكُمْ أَنَّني لَمْ أُحِبَّ كُلَّ ذٰلِكَ في بادِئِ الأَمْرِ. وَلٰكِنْ، مَعَ الْوَقْتِ، اعْتَدْتُ الْوَضْعَ؛ لا بَلْ رُحْتُ أَجِدُ فيهِ لَذَّةً، إلى أَنْ جاءَ يَوْمٌ، قالَ لي فيهِ السَّيِّدُ غراي: «مِنَ الْخَسارَةِ أَنْ يَبْقى حِصانٌ مِثْلُكَ في الْمَزْرَعَةِ؛ لِذا سَتَذْهَبُ لِتَعيشَ مَعَ عائِلَةِ السَّيِّدِ غوردُن...»





حَزِنْتُ كَثيرًا لِٱبْتِعادي عَنْ أُمّي، وَعَنِ الْحَقْلِ الَّذي رَبيتُ فيهِ. وَلٰكِنَّ رُؤْيَةَ مَنْزِلي الْجَديدِ سُرْعانَ ما أَنسَتْني حُزْني. فَقَدْ كانَتْ عائِلَةُ غوردُن تَعيشُ في مَنْزِلٍ ريفِيٍّ رائِعٍ، كَما ٱسْتَقْبَلَني أَفْرادُها بِلَطافَةٍ لا مَثيلَ لَها، وَبِخاصَّةٍ السَّيِّدَةُ غوردُن: «يا لَكَ مِنْ حِصانٍ جَميلٍ!» قالَتْ لي. ثُمَّ أَرْدَفَتْ بِلَهْجَةٍ حَزينَةٍ: «مِنَ الْمُؤْسِفِ أَلّا أَسْتَطيعَ الرُّكوبَ، بِسَبَبِ مَرَضي الشَّديدِ!» وَتَبَيَّنَ لي، فيما بَعْدُ، أَنَّني سَأَكونُ تَحْتَ رِعايَةِ السائِسِ، السَّيِّدِ جون مانْلي.

كانَ جون رَجُلًا وَدودًا يَعْشَقُ الْأَحْصِنَةَ. اِصْطَحَبَني إلى الْإِسْطَبْلِ حَيْثُ عَرَّفَني بِجِنْجَر -وَهِيَ فَرَسٌ مِنْ أَصْلٍ وَحْشِيٍّ- الَّتي رَمَتْني بِنَظَراتٍ مُتَعالِيَةٍ. لٰكِنْ ما لَبِثْنا أَنْ أَصْبَحْنا، بَعْدَ بِضْعَةِ أَيّامٍ، صَديقَيْنِ مُتَحابَّيْنِ، لا يُفَرِّقُ بَيْنَنا شَيْءٌ. وَرُحْنا نَجْري، جَنْبًا إلى جَنْبٍ، نَجُرُّ عَرَباتِ السَّيِّدِ غوردُن.





آهِ، كَمْ تَمَنَّيْتُ أَنْ تَكونَ جِنْجَر مَعي في ذٰلِكَ الْمَساءِ، حَيْثُ ٱصْطَحَبَني سَيِّدي لِأُوْصِلَهُ إلى الْمَدينَةِ! كُنْتُ وَحْدي أَجُرُّ الْعَرَبَةَ. فَجْأَةً، ٱنْهارَ الْجِسْرُ الْخَشَبِيُّ تَحْتَ حَوافِري، بِسَبَبِ قُوَّةِ السَّيْلِ الْمُتَدَفِّقِ في النَّهْرِ. فَمالَتِ الْعَرَبَةُ، وَسَقَطَ الْمِسْكينُ جون في النَّهْرِ! وَلِلْحالِ، تَعَلَّقَ السَّيِّدُ غوردُن بِالرَّسَنِ، وَقَفَزَ إلى الْماءِ مُمْسِكًا بِجون قَبْلَ أَنْ يَجْرُفَهُ السَّيْلُ!

كانَتْ حَياةُ الرَّجُلَيْنِ مُعَلَّقَةً بي... وَصَدِّقوني، لَيْسَ بِالْأَمْرِ الْهَيِّنِ أَنْ أَجُرَّ رَجُلَيْنِ إلى الشاطِئِ، وَحَوافِري تَغْرَقُ في الْوَحَلِ! أخيرًا، ٱسْتَجْمَعْتُ كُلَّ قُوَّتي، وَرُحْتُ أَشُدُّ، حَتّى وَصَلَ الرَّجُلانِ إلى حافَّةِ النَّهْرِ. وَهُناكَ، ٱسْتَلْقَيا مَنْهوكَيِ الْقُوى. «أَشْكُرُكَ، يا سَيِّدي» قالَ جون. فَأَجابَهُ السَّيِّدُ غوردُن: «لا تَشْكُرْني أَنا، بَل ٱشْكُرِ «النَّجْمَةَ البَيْضاءَ» الَّذي خَلَّصَنا مَعًا مِنَ الْغَرَقِ!»

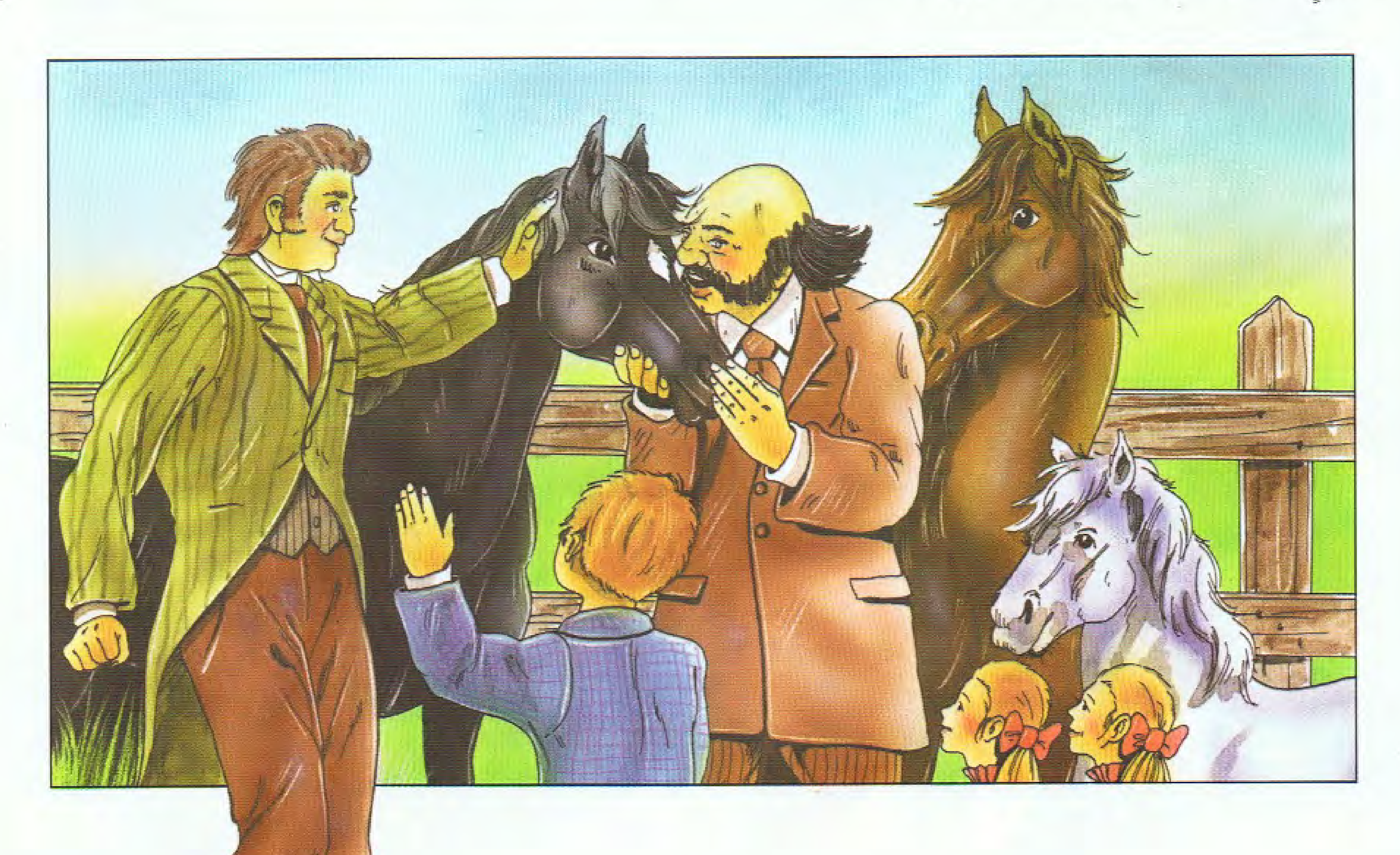




كُنْتُ فَخورًا بِعَمَلي الْبُطوليِّ. وَلٰكِنْ، ما إنْ طَلَعَ الصُّبْحُ حَتّى خارَتْ قُوايَ، وَلَمْ أَعُدْ أَقْوى عَلى الْوُقوفِ. لَمْ يَكُنْ ذٰلِكَ بِسَبَبِ التَّعَبِ فَحَسْبُ: بَلْ إنَّني أُصِبْتُ بِالْحُمّى مِنْ جَرّاءِ الْبَرْدِ الشَّديدِ. وَالْحِصانُ الْمَريضُ -كَما تَعْلَمونَ- مُعَرَّضٌ لِخَطَرِ الْمَوْتِ! لَمْ يُوَفِّرِ السَّيِّدُ جون جُهْدًا لِيُخَلِّصَني مِنَ الْحُمّى الَّتي أُصِبْتُ بِها، مُسْتَعينًا بِخِبْرَتِهِ الطَّويلَةِ في الْعِنايَةِ بِالْأَحْصِنَةِ، وَكَذٰلِكَ بِابْنِ أَخيهِ، جو غرين، لِلسَّهَرِ عَلَيَّ.

إِنَّهُ لَشُعورٌ بَهيجٌ ذٰلِكَ الَّذي ٱنْتابَني يَوْمَ ٱسْتَطَعْتُ، أَخيرًا، النُّهوضَ على قَدَمَيَّ، وَالتَّنَزُّه بِحُرِّيَّةٍ في الْحُقولِ. وَعَمَّتِ الْفَرْحَةُ الْجَميعَ: رَفيقَتي جِنْجَر، وَالسَّيِّدَيْنِ غوردُن وَغرين. كَذٰلِكَ فَرِحَ الْأَطْفالُ الَّذينَ لَمْ يَكونوا يَهْتَمّونَ إلّا بِمُهْرِهِمِ الْأَبْيَضِ الصَّغيرِ. قالَ السَّيِّدُ غوردُن: «عَلَيْنا الْآنَ أَنْ نَشْكُرَ جون، لِأَنَّهُ أَنْقَذَ حَياةَ حِصانِنا الْعَزيزِ.» فَأَجابَ جون:

«وَالشُّكْرُ كَذٰلِكَ لِٱبْنِ أَخي، جو، الَّذي ساعَدَني كَثيرًا. أَنا أَكيدٌ مِنْ أَنَّهُ سَيُصْبِحُ، ذاتَ يَوْمٍ، سائِسًا ماهِرًا، لا مَثيلَ لَهُ.»

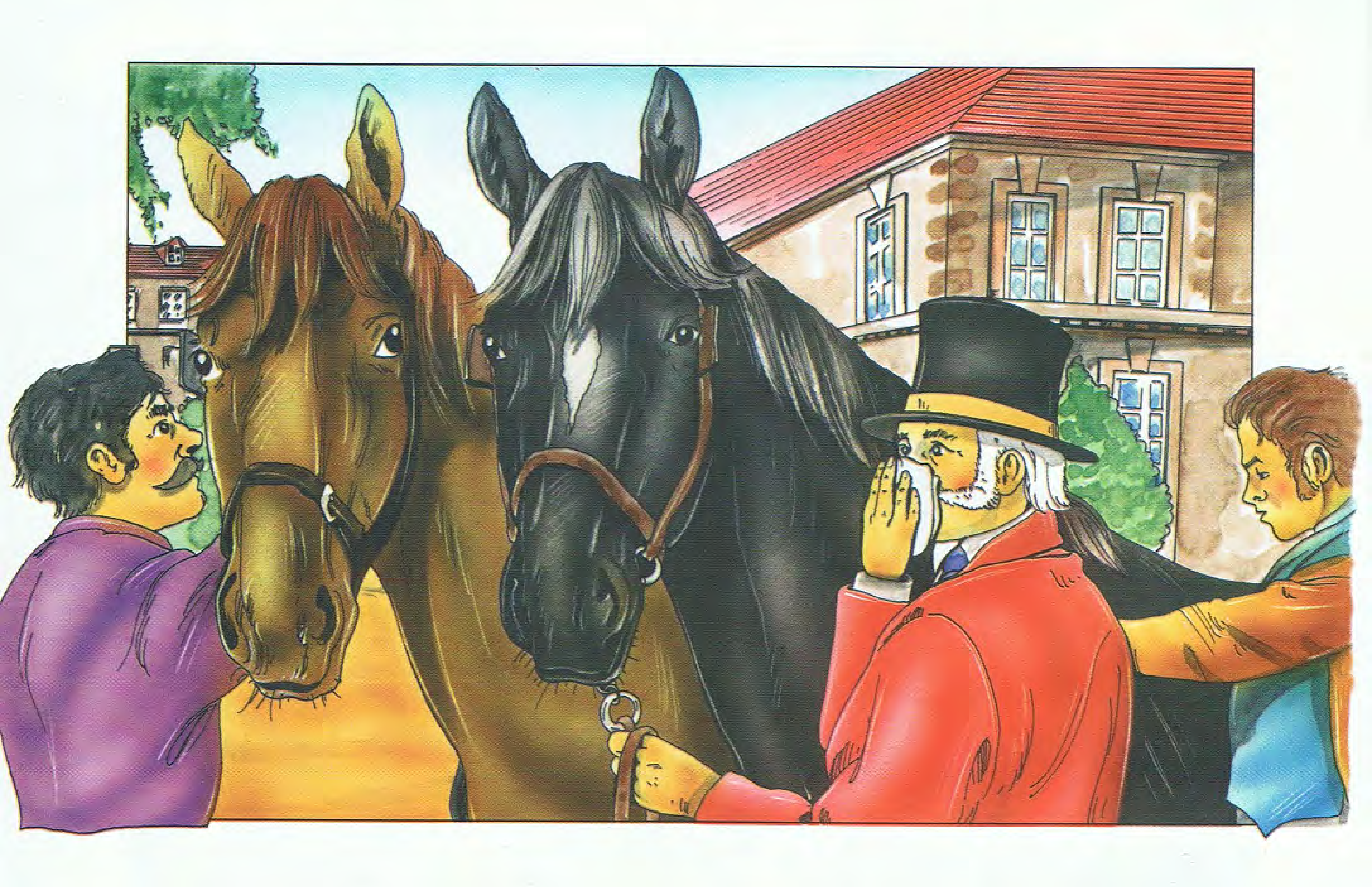




وَسُرْعانَ ما سَنَحَتِ الْفُرْصَةُ مَرَّةً ثانِيَةً لِجو، أَنْ يُثْبِتَ مَهارَتَهُ: فَقَدْ شَبَّ حَريقٌ هائِلٌ في الْإِسْطَبْلِ، ذاتَ مَساءٍ، بِسَبَبِ إِهْمالِ أَحَدِ الْعُمّالِ! فَوْرَ ٱنْدِلاعِ الْحَريقِ، وَقَبْلَ أَنْ يَمْتَدَّ، ٱسْتَطاعَ رَفيقايَ، جِنْجَر وَالْمُهْرُ الْأَبْيَضُ، الْخُروجَ مِنَ الْإِسْطَبْلِ. أَمّا أَنا، فَقَدْ حاصَرَتْني النِّيرانُ، وَلَمْ أَجْرُؤْ على التَّحَرُّكِ. في تِلْكَ اللَّحْظَةِ، لَمَعَتْ فِكْرَةٌ مُدْهِشَةٌ في رَأْسِ جو: حَلَّ مِنْديلَهُ عَنْ رَقَبَتِهِ، وَعَصَبَ بِهِ عَيْنَيَّ، فَلَمْ أَعُدْ أَرى أَلْسِنَةَ النارِ لِأَخافَ مِنْها؛ وَهٰكَذا، قادَني بِهُدوءٍ خارِجَ الْإِسْطَبْلِ!

مُنْذُ تِلْكَ اللَّيْلَةِ، لَمْ نَعُدْ أَنا وَجو نَفْتَرِقُ لَحْظَةً. إلّا أَنَّهُ، ذاتَ يَوْمٍ، وَبَعْدَ أَنْ عايَنَ الطَّبيبُ السَّيِّدَةَ غوردُن، قالَ لَها: «إنَّ الْمُناخَ في هٰذِهِ الْمِنْطَقَةِ لا يُناسِبُكَ عَلى الإطْلاقِ. إذا أَرَدْتِ الشِّفاءَ نِهائِيًّا، عَلَيْكِ أَنْ تَنْتَقِلي إلى مِنْطَقَةٍ أُخْرى، مُناخُها أَقَلُّ رُطوبَةً.» وَهٰكَذا اضْطُرَّتْ عائِلَةُ غوردُن إلى مُغادَرَةِ الْمِنْطَقَةِ، بَعْدَ أَنْ باعَتْ كُلَّ شَيْءٍ... بِما في ذٰلِكَ الأَحْصِنَةُ! يا لَهُ مِنْ وَداعٍ مُؤَثِّرٍ، يُحْزِنُني أَنْ أَتَذَكَّرَهُ، وَبِخاصَّةٍ دُموعُ الصَّغيرِ جو الَّتي انْهَمَرَتْ، طَوالَ ذٰلِكَ النَّهارِ، حتّى احْمَرَّتْ عَيْناهُ مِنْ كَثْرَةِ الْبُكاءِ.





كانَ نَصيبُنا، أَنا وَجِنْجَر، أَنْ يَشْتَرِينا رَجُلٌ فاحِشُ الثَّراءِ، يَمْلِكُ قَصْرًا كَبيرًا. وَسُرْعانَ ما ٱفْتَقَدْنا هَناءَةَ الْعَيْشِ الَّتي عَرَفْناها عِنْدَ عائِلَةِ غوردُن: فَصاحِبُ الْقَصْرِ كانَ يَأْنَفُ مِنَ الْأَحْصِنَةِ، وَالسائِسُ مُدَّعٍ وَمُتَعَجْرِفٌ. أَمّا الْحوذِيُّ، فَكانَ رَجُلًا رَهيبًا، مُخيفًا، وَبِخاصَّةٍ عِنْدَما يَسْكَرُ... أَيْ كُلَّ مَساءٍ!

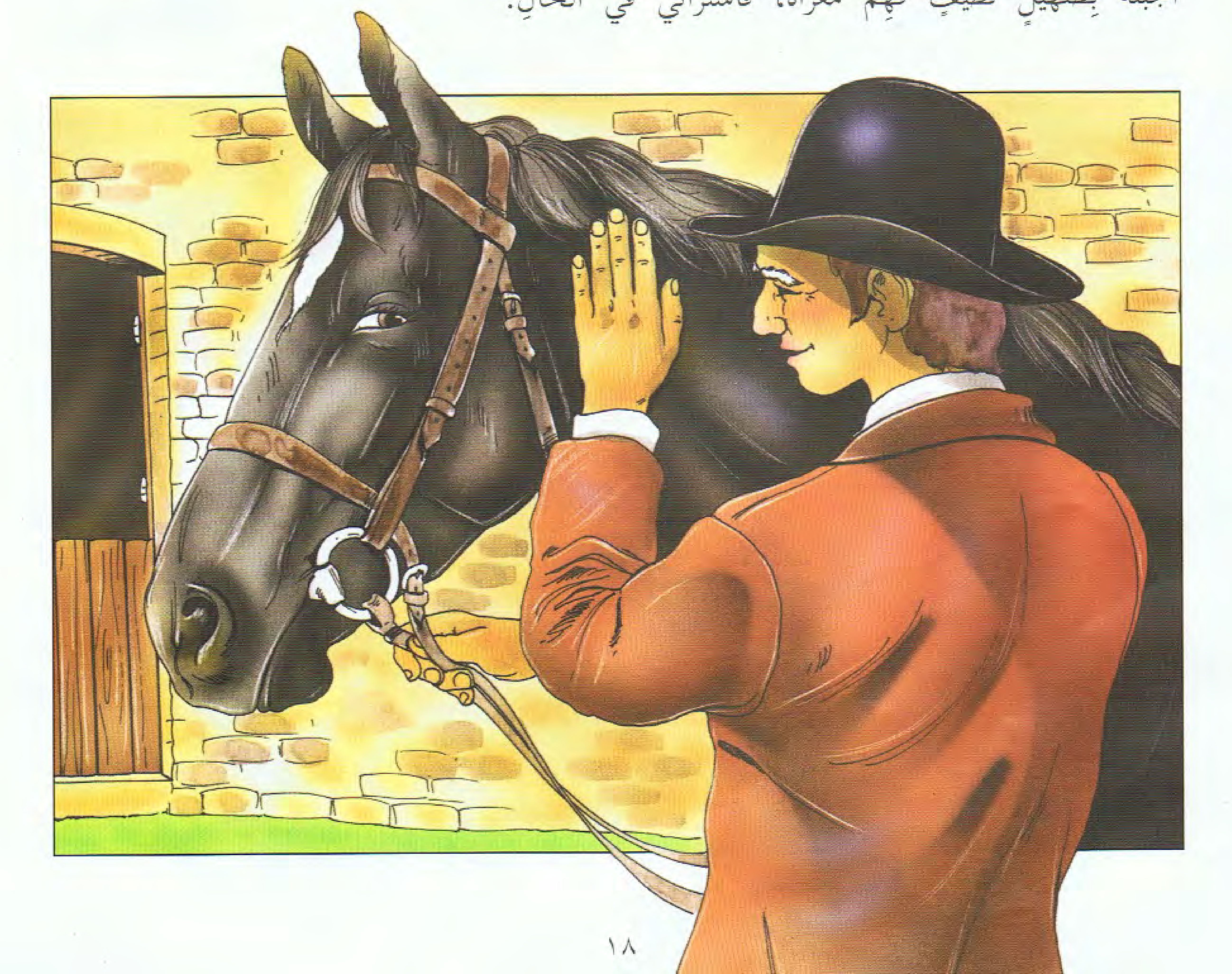
وَذاتَ مَساءٍ، بَيْنَما كُنْتُ عائِدًا مِنَ الْمَدينَةِ، سَقَطَ النَّعْلُ مِنْ أَحَدِ حَوافِري، دونَ أَنْ يُلاحِظَ الْحوذِيُّ ذٰلِكَ. اُضْطُرِرْتُ إلى أَنْ أَتَباطَأَ مِنَ الْأَلَمِ، فَأَخَذَ يَضْرِبُني بِالسَّوْطِ دونَ رَحْمَةٍ: «هَيّا! تَقَدَّمْ! أَسْرِعْ! سَوْفَ نَتَأَخَّرُ! هَيّا! أَسْرِعْ!» اِسْتَجْمَعْتُ كُلَّ قُوايَ، وَحَمَلْتُ أَلَمي، وَرُحْتُ أُحاوِلُ الْإِسْراعَ قَدْرَ الْإِمْكانِ. وَلٰكِنْ، عِنْدَ أَوَّلِ مُنْحَدَرٍ، تَعَثَّرْتُ، وَوَقَعْتُ على رُكْبَتَيَّ!

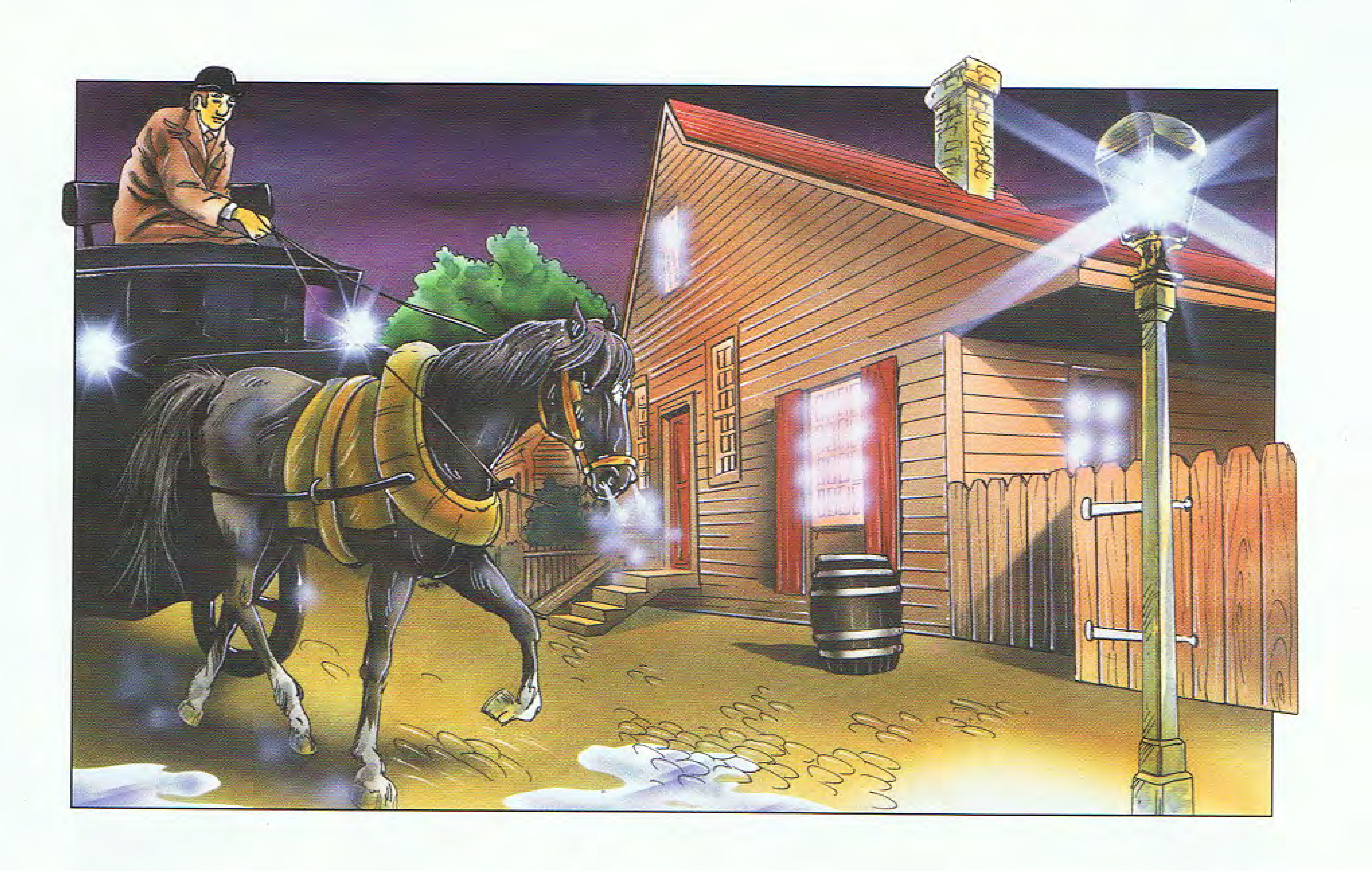




يا لَلْكارِثَةِ! إنَّ رُكْبَتَيِ الْحِصانِ سَريعَتا الْعَطَبِ؛ وَقَدْ أُصيبَتْ رُكْبَتايَ، وَتَضَرَّرَتا بِشَكْلٍ لا يَنْفَعُ مَعَهُ أَيُّ عِلاجٍ. وَصَلْنا بَعْدَ جُهْدٍ كَبيرٍ. وَرَآني صاحِبُ الْقَصْرِ، فَصاحَ غاضِبًا: «اِذْهَبْ وَبِعْهُ فَوْرًا! لا أُريدُ حِصانًا أَعْرَجَ في إِسْطَبْلي! خُذْهُ مِنْ هُنا!» وَهٰكَذا ٱفْتَرَقْنا أَنا وَجِنْجَر. وَساقَني الْحوذِيُّ، مُنْذُ الصَّباحِ الباكِرِ، إلى مَعْرِضِ الْأَحْصِنَةِ. يا لَها مِنْ تَجْرِبَةٍ قاسِيَةٍ وَمُهينَةٍ! الرِّجالُ يَفْحَصونَني بِخُشونَةٍ، دون ٱحْتِرامٍ أَوْ لُطْفٍ، وَكَأَنَّني آلَةٌ صَمّاءُ، لا شُعورَ لَها!

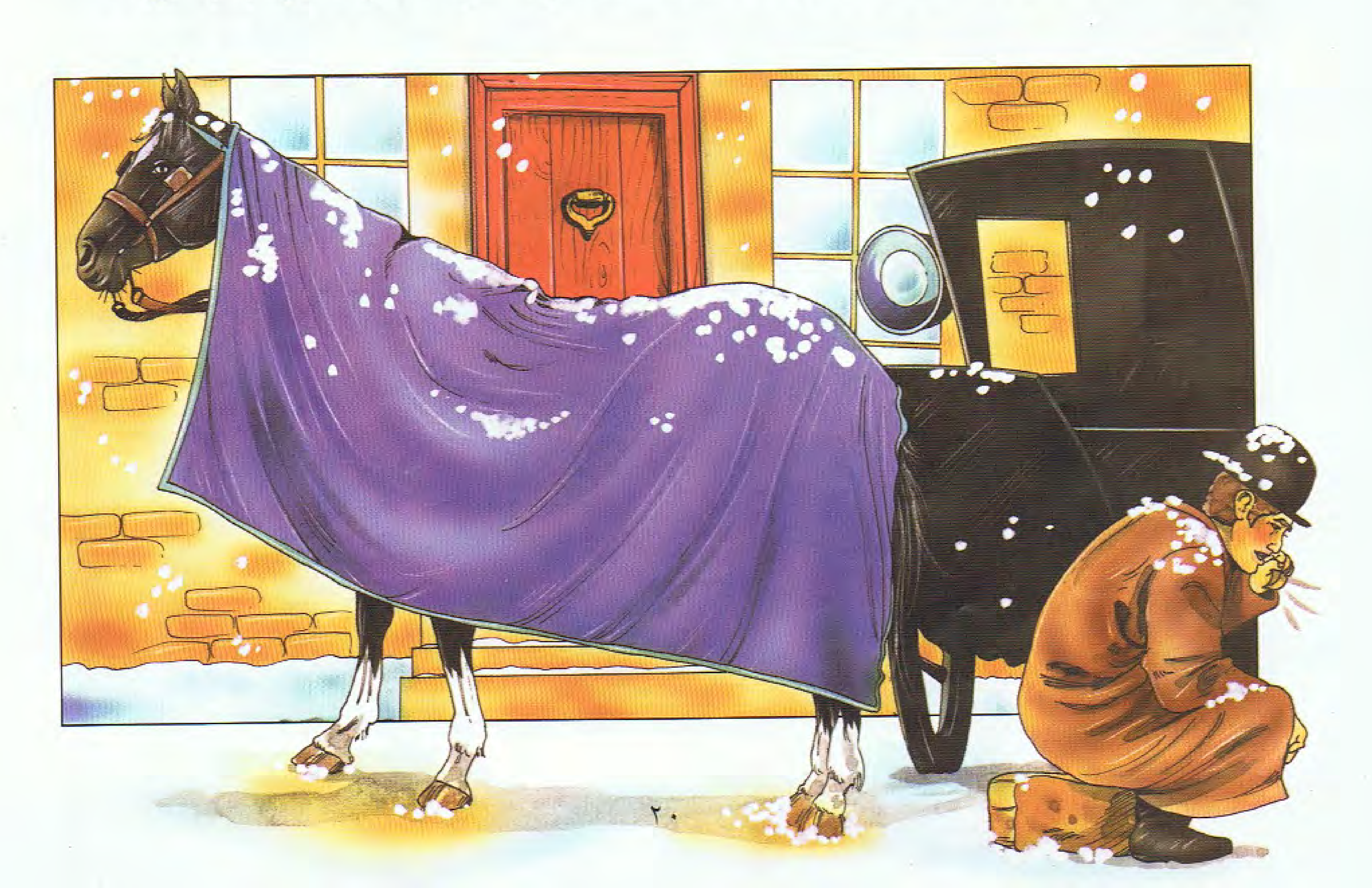
كَمْ أَفْزَعَتْني فِكْرَةُ أَنْ يَشْتَرِيَني أَحَدُ هٰؤُلاءِ الرِّجالِ الْغِلاظِ، الَّذينَ لا شَفَقَةَ في قُلوبِهِمْ! وَلٰكِنْ، لِحُسْنِ الْحَظِّ أَنَّهُمْ وَجَدوا ثَمَني مُرْتَفِعًا. فَجْأَةً، ٱقْتَرَبَ مِنّي رَجُلٌ يَخْتَلِفُ عَنِ الْآخَرينَ، فَمَسَحَ وَجْهي بِنُعومَةٍ، وَهَمَسَ في أُذُني: «أَتَظُنُّ أَنَّهُ يُمْكِنُنا أَنْ نَتَفاهَمَ، أَنا وَأَنْتَ؟» أَجَبْتُهُ بِصَهيلٍ لَطيفٍ فَهِمَ مَغْزاهُ، فَٱشْتَراني في الْحالِ.

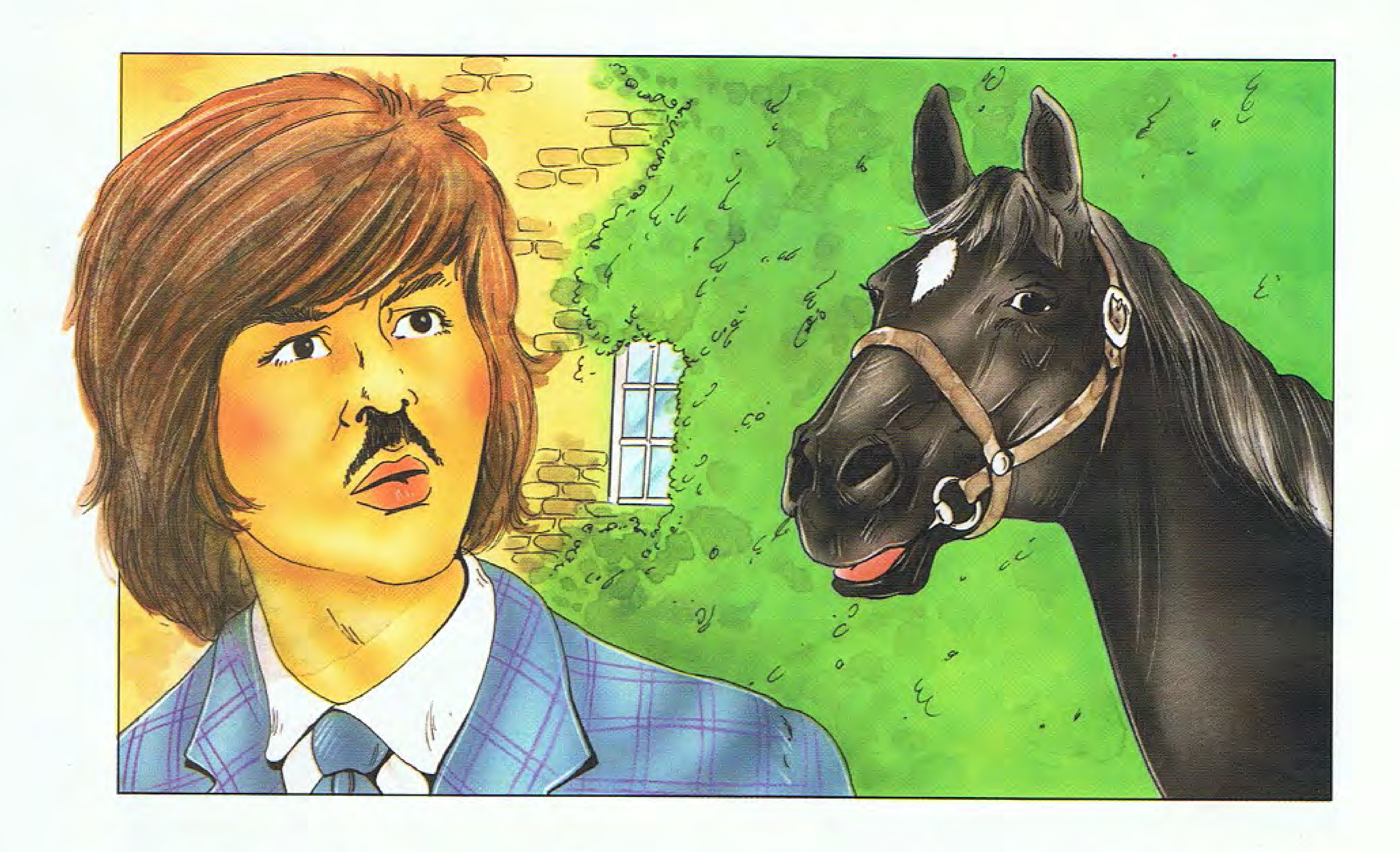




لَمْ يَكُن جيري بايكر - مالِكي الْجَديدُ - غَنِيًّا. لٰكِنَّهُ كانَ يَكْسِبُ عَيْشَهُ كَحوذِيٍّ، يَنْقُلُ الرُّكّابَ في عَرَبَةٍ يَجُرُّها جَوادٌ. وَبِما أَنَّ حِصانَهُ قَدْ ماتَ، فَقَدْ كانَ مُضْطَرًّا أَنْ يَشْتَرِيَ حِصانًا جَديدًا يَجُرُّ الْعَرَبَةَ. سُرْعانَ ما ٱعْتَدْتُ عَمَلي الْجَديدَ بَيْنَ الناسِ، وَأَصْواتَ الْمَدينَةِ! وَكانَ السَّيِّدُ بايكر لَطيفًا جِدًّا، فَٱهْتَمَّ بي ٱهْتِمامًا بالِغًا، كَما ٱعْتَنى بي كَذٰلِكَ، كُلَّ مَساءٍ، أَفْرادُ عائِلَتِهِ جَميعًا.

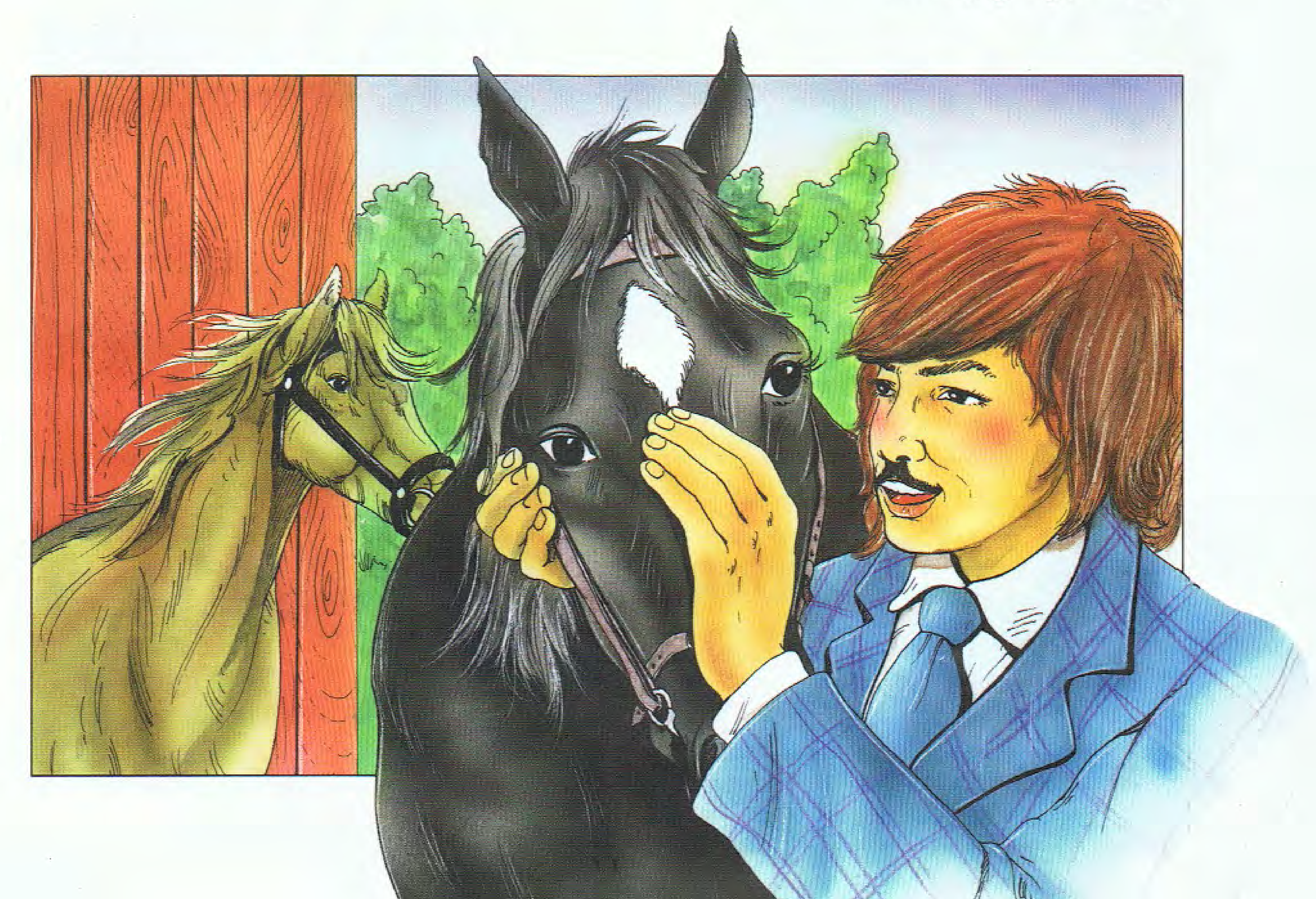
جاءَ فَصْلُ الشِّتاءِ بِزَمْهَريرِهِ وَثُلوجِهِ. وَمَعَ ذٰلِكَ، لَمْ يَتَوَقَّفِ السَّيِّدُ بايكر، يَوْمًا واحِدًا، عَنِ ٱصْطِحابي إلى الْعَمَلِ. وَكُنْتُ أَعْمَلُ بِكُلِّ نَشاطٍ، عَلى الرُّغْمِ مِنَ الطَّقْسِ الْقاسي. لٰكِنَّ الْأَمْرَ الْأَقْسى كانَ ٱنْتِظاري الزَّبائِنَ تَحْتَ الثَّلْجِ، مَعَ أَنَّ السَّيِّدَ جيري لَمْ يَكُنْ يَنْسى، مَرَّةً، أَنْ يُغَطِّيَني بِرِداءٍ يَمْنَعُ عَنّي الْبَرْدَ. إلّا أَنَّهُ كانَ يَجْلِسُ عَلى الْعَرَبَةِ، مُلْتَحِفًا بِمِعْطَفٍ رَثٍّ، بالٍ، وَهُوَ يَرْتَجِفُ مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ. ذاتَ صَباحٍ ٱسْتَيْقَظَ السَّيِّدُ جيري، وَالسُّعالُ يُقَطِّعُ صَدْرَهُ. وَلَمّا جاءَ الطَّبيبُ وَعايَنَهُ، نَصَحَهُ قائِلًا: «عَلَيْكَ أَنْ تُوْقِفَ عَمَلَكَ هٰذا، وَإلّا سَوْفَ تَموتُ مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ!»





هٰكَذا، وَجَدْتُ نَفْسي، لِلْمَرَّةِ الثانِيَةِ، في مَعْرِضِ الْأَحْصِنَةِ. وَكانَ الْعَمَلُ قَدْ أَنْهَكَني، وَجَعَلَني هَزيلًا، فَلَمْ يَهْتَمَّ أَحَدٌ بي. الزَّبائِنُ يَمُرّونَ أَمامي، دونَ أَنْ يَتَوَقَّفوا لَحْظَةً واحِدَةً لِيُلْقوا نَظْرَةً عَلَيَّ! فَجْأَةً، مَرَّ أَمامي شابٌّ، رَأَيْتُ مِنْ نَظَراتِهِ أَنَّهُ يَعْشَقُ الْأَحْصِنَةَ، وَأَنَّهُ في الْمَعْرِضِ لِمُجَرَّدِ مِتْعَةِ الْمُشاهَدَةِ، لا لِلشِّراءِ. وَما هِيَ لَحَظاتٌ، حَتّى تَوَضَّحَتْ قَسَماتُ وَجْهِهِ أَمامي، وَعَرَفْتُ فيهِ جو غرين!

عِنْدَئِذٍ، أَطْلَقْتُ صَهيلًا بِكُلِّ ما أُوْتِيتُ مِنْ قُوَّةٍ، فَٱلْتَفَتَ جو إلى الْوَراءِ. وَما إنْ رَأى الْعَلامَةَ الْبَيْضاءَ عَلى جَبيني، حَتّى أَسْرَعَ إِلَيَّ، وَوَضَعَ رَأْسَهُ إلى رَأْسي، وَصاحَ فَرِحًا: «النَّجْمَةُ الْبَيْضاءُ! أَنْتَ هُنا؟! أَكادُ لا أُصَدِّقُ عَيْنَيَّ! تَعالَ مَعي يا صَديقي، وَهٰذِهِ الْمَرَّةَ لَنْ نَفْتَرِقَ أَبَدًا! إنّي أَعْمَلُ عِنْدَ سَيِّدَتَيْنِ عَجوزَيْنِ، في الرّيفِ، وَأَنا مُتَأَكِّدٌ مِنْ أَنَّهُما سَتَسْعَدانِ بِكَ، عِنْدَما تَجُرُّ عَرَبَتَهُما...»





وَهٰكَذا، لَمْ أَسْتَعِدْ أَفْضَلَ صَديقٍ لي فَحَسْبُ، بَلِ ٱسْتَعَدْتُ كَذٰلِكَ الْحَياةَ الْهانِئَةَ الَّتي عَرَفْتُها في صِبايَ. وَعَرَفْتُ مِنْ جَديدٍ لَذَّةَ التَّنَزُّهِ بَيْنَ الْحُقولِ وَمُشاهَدَةِ الطَّبيعَةِ، وَالْحَياةَ الْهادِئَةَ في الريفِ...

أَسْئِلَةٌ

١) مَنْ هُوَ بَطَلُ هٰذِهِ الْقِصَّةِ؟ وَما ٱسْمُهُ؟

٢) ماذا يُمَيِّزُهُ في لَوْنِهِ؟

٣) ما هُوَ أَوَّلُ عَمَلٍ بُطوليٍّ قامَ بِهِ؟

٤) هَلْ أَحَبَّ الْحِصانُ الْعَيْشَ في الْقَصْرِ الْكَبيرِ؟ لِماذا؟

٥) ماذا تُسَمّى الْحَديدَةُ الَّتي تُوضَعُ عَلى حافِرِ الْحِصانِ؟ وَما وَظيفَةُ هٰذِهِ الْحَديدَةِ؟

٦) هَلْ أَحَبَّ الْحِصانُ مَعْرِضَ الْأَحْصِنَةِ؟ لِماذا؟

٧) هَلْ تُحِبُّ أَنْتَ الْأَحْصِنَةَ؟ مِنْ أَيِّ لَوْنٍ تُحِبُّها؟

٨) هَلْ يَجِبُ مُعامَلَةُ الْأَحْصِنَةِ بِقَسْوَةٍ؟

٩) أُذْكُرْ مِنْ خِلالِ الْقِصَّةِ أَيْنَ يُفَضِّلُ الْحِصانُ الْعَيْشَ.

١٠) إذا كانَ لَدَيْكَ حِصانٌ، فَماذا تُسَمّيهِ؟ وَماذا تُطْعِمُهُ؟

١١) إِشْرَحِ الْكَلِماتِ التالِيَةَ:

فاحِمًا (ص ٥) ◆ السائِسِ (ص ٧) ◆ وَدودًا (ص ٨) ◆ السَّيْلُ (ص ٩) ◆ انْتابَني (ص ١٢) ◆ عَصَبَ (ص ١٣) ◆ عايَن (ص ١٤) ◆ يَأْنَفُ (ص ١٥) ◆ مُتَعَجْرِفٌ (ص ١٥) ◆ الحوذِيُّ (ص ١٥) ◆ تَعَثَّرَتُ (ص ١٦) ◆ صَمّاء (ص ١٧) ◆ صَهيلٍ (ص ١٨) ◆ مَغْزاهُ (ص ١٨) ◆ زَمْهَريرِهِ (ص٢٠) ◆ مُلْتَحِفًا (ص ٢٠) ◆ أَنْهَكَني (ص٢١) ◆ قَسَماتُ (ص ٢١) ◆

سِلْسِلَة «أَحْلَى المُغامَراتِ العالمِيَّةِ»

النَّجْمَةُ البَيْضاءُ

الفُرْسانُ الثَّلاثَةُ

روبِن هُود

طوم صُويَر

جَزيرَةُ الكَنْزِ

